عشر سنين في بلدنا اخرج من دارنا الى المكتب فارى الملائكة عليهم السلام تمشي حولي فاذا وصلت الى المكتب سمعتهم يقولون افسحوا لولي الله حتى يجلس فمر بنا يوماً رجل ما عرفته يومئذ فسمع قول الملائكة فقال لاحدهم ما هذا الصبي فقال له احدهم هذا من بيت الاشراف قال سيكون لهذا شأن عظيم هذا يعطى فلا يمنع ويمكن فلا يحجب ويقرب فلا يمكر به ثم عرفت ذلك الرجل بعد اربعين سنة فاذا هو من ابدال ذلك الوقت وقال رضي الله عنه كنت صغيراً في اهلي كلما هممت ان العب مع الصبيان اسمع قائلاً يقول الي يا مبارك فاهرب فزعاً منه والقي نفسي في حجر امي وانا الآن لا اسمع هذا في خلواتي

اللهم ادم ديم الرضوان عليه وامدنا بالاسرار التي اودعتها لديه

ولما علم رضي الله عنه ان طلب العلم فريضة على كل مسلم وانه شفاء للانفس المريضة اذ هو افصح منهاج التقى سبيلا وابلغها حجة واظهرها دليلا وافخر مراتب المهتدين شمر عن ساعد الجد والاجتهاد في تحصيله وسارع في طلب فروعه واصوله وقصد بغداد وكانت اذ ذاك معقل العلم والفضلاء والدين والكاملين وسبب ذلك ما نقل عنه رضي الله عنه انه قال كنت صغيراً في بلدنا فخرجت الى السواد في يوم عرفة وتبعت لبقرة حراثة فالتفتت البقرة الي وقالت يا عبد القادر ما لهذا خلقت فرجعت فزعاً الى دارنا وصعدت الى سطح الدار فرايت الناس واقفين بعرفات فجئت الى امي وقلت لها هبيني لله عز وجل واذني لي في المسير الى بغداد اشتغل بالعلم وازور الصالحين فسالت عن سبب ذلك فاخبرتها بخبري فبكت وقامت الى ثمانين ديناراً ورثها ابي فتركت لاخي اربعين ديناراً وخاطت في دلقي اربعين ديناراً وخرجت مودعة لي وقالت يا ولدي اذهب فقد خرجت عنك لله عز وجل فهذا وجه لا اراه الى يوم القيامة وعاهدتني على الصدق في كل احوالي فسرت مع قافلة صغيرة بطلب بغداد فلما تجاوزنا همذان وكنا بارض رابيك خرج علينا ستون فارساً فاخذوا القافلة ولم يتعرض لي احد فاجتاز بي احدهم وقال لي يا فقير ما معك فقلت اربعون ديناراً فقال واين هي فقلت مخاطة في دلقي تحت ابطي فظن اني استهزئ به فتركني وانصرف ومر بي آخر فقال مثل ما قال الاول واجبته كجواب الاول فتركني وتوافيا عند مقدمهم واخبراه بما سمعاه مني فقال علي به فاتي بي اليه واذا هم على تل يقتسمون اموال القافلة فقال لي ما معك قلت اربعون ديناراً قال واين هي قلت مخاطة في دلقي تحت ابطي فامر بدلقي ففتق فوجد فيه اربعون ديناراً فقال لي ما حملك على هذا الاعتراف قلت ان امي عاهدتني

الناقل محمد بن قاسم ... الاولي ... ١٢

على الصدق وانا لا اخون عهدها فبكى وقال انت لم تخن عهد امك واني الى اليوم لي كذا كذا سنة اخون عهد ربي فتاب على يدي فقال له اصحابه انت مقدمنا في قطع الطريق وانت الآن مقدمنا في التوبة فتابوا كلهم على يدي وردوا على القافلة ما اخذوه منهم فهم اول من تاب على يدي ثم سار حتى اتى بغداد وكان الخليفة اذ ذاك المستظهر بالله ابن المقتدي بامر الله العباسي سنة ثمان وثمانين واربعمائة وعمره الشريف اذ ذاك ثمانية عشر سنة فلما دخل الى بغداد وقف له الخضر عليه السلام ومنعه الدخول وقال ما معي امر بان تدخل الى بغداد الى سبع سنين يلتقط من البقالة المباح حتى صارت الخضرة تتبين من عنقه ثم قام ذات ليلة فسمع الخطاب يا عبد القادر ادخل بغداد فدخل وكانت ليلة مطيرة باردة فقصد زاوية الشيخ حماد بن مسلم الدباس فقال الشيخ اغلقوا باب الزاوية واطفئوا الضوء فجلس الشيخ رضي الله عنه على الباب فالقى الله عليه النوم فاجنب ثم قام فاغتسل فالقى الله عليه النوم فاجنب ولم يزل كذلك سبع عشرة مرة وهو يغتسل عقيب كل مرة فلما كان عند الصبح فتح الباب فدخل الشيخ فقام اليه الشيخ حماد فاعتنقه وضمه اليه وبكى وقال له يا ولدي عبد القادر الدولة اليوم لنا وغداً لك فاذا وليت فاعدل بهذه الشيبة فيا له من قادم تولهت بقدومه مقدمات السعادة لدرض ... بلادها وترادفت عليها سحائب الرحمة فعمت اطرافها وتلادها وتضاعف فيها الهدى فاضاءت ابدالها واوتادها وتتابعت اليها وفود التهاني فاصبحت كل احيانها اعيادها واضحى قلب العراق بنوره ووده بالبشر متواجد ولسان ثغره باقبال وجهه ينطق لله بالمحامد

لمقدمه انهل السحاب واعشب السعراق وزال الغي واتضح الرشد
فعيد انه ... وصحا ... وحصباؤه در وامواهه شهد
يميس به قلب العراق صبابة وفي قلب نجد من محاسنه وجد
وفي الشرق برق من مقابس نوره وفي الغرب من ذكراه ... جلالته رعد

فاشتغل بالعلم وقصد اشياخ الائمة اعلام الهدى علماء الامة وقرأ الفقه بعد ان اتقن القرآن العظيم واحكم الاصول والفروع والخلاف وسمع الحديث من اكابر المحدثين والحفاظ واشتغل بالوعظ الى ان برز فيه ثم لازم الانقطاع والخلوة والرياضة والسياحة والمجاهدة الشديدة وتحمل الاحوال المشقة والدخول في الامور الصعبة من مخالفة النفس وملازمة السهر والجوع والمقام في الخراب والصحارى وصحب الشيخ حماد الدباس الزاهد واخذ عنه علم الطريق وتأدب به وسلك على يده ولبس الخرقة من

صدس

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)